حول اللفظ الدخيل

والمجتمع اللغوي

والاوضاع الفنية وغيرها

للاديب ميرالله النحاس

obeikandl.com

حول اللفظ الدخيل

والمجتمع اللغوي

والاوضاع الفنية وغيرها

للاديب ميرالله النحاس

obeikandl.com

من اغراض المجتمع اللغوي ارشاد الناس الى الاوضاع العربية ولا سيما ما تحتاج اليه منها حضارة العصر .

وربما عمد المجتمع الى ما هو قديم فهذَّبه وشذَّبه مما علق به من اسماء لا يرضاها ابو عبيدة والاصمعي .

وقد روت الصحف عزمه هذه المرة على تعبئة الجيوش قياماً بشروط المعاهدة ثم تسمية امرائها ومقدميها باسماء يفهمها خالد بن الوليد وشرحبيل بن حسنة وابو عبيدة بن الجراح . حرصاً على صيانة العربية .

ونعم النية هي لو صحت وتوفق سادتنا العلماء الى كلمات مأنوسة تستسيغها الالسنة ولم تعترضهم عقبات تردهم الى اسماء اعجمية .

فمن الاوضاع العربية لجماعات الجيش مثلا « الفيلق » والعهد قريب بالخلاف على تأنيث هذا اللفظ وتذكيره . وقد اشتد فيه بين الادباء الجدال وطال النضال والفوز بين

الفريقين سجال حتى تفلّلت السيوف وتكسرت ارعاظ النبال فأدرك جموعهم الحرد وفرقهم الملال .

ولا ريب ان من ذكّر « الفيلق » فعلى معنى الجيش ومن أنّث وهو الغالب فعلى معنى الكتائب وقد جاءت بالوجهين في شعر ابي الطيب فقال :

في فَيلقٍ من حديدٍ لو قَذفتَ بهِ
صَرفَ الزمانِ لما دارت دوائرُهُ

وقال :

فصارتِ الفيلقانِ واحدةً تعثُرُ أحياؤُها بموتاها

فذكّرها في الاولى وأنّثها في الثانية

وقال رؤبة:

خَمساءَ تَمّتْ من تميمٍ فَيلقا اذا استباحت عِزّ قوم طَرَّقا

وقال الزَفَيان :

وشَفَترَوا في دينهم ومَرَقُوا فصبَّحتهم ذاتُ رِزٍّ فَيلَقُ
ملمومةٌ يَضِلُّ فيها الابلقُ

وقال المغيرة بن حبناء :

فلما لقيناهم بشهباءَ فيلقٍ تزلزل منها جمعُهم فتبدَّرا

وقال ابن أحمر

حتى أتتـه فيلق طافح لا تتقي الزجرَ ولا تنزجرْ

وخالفهم الحكمي فقال :

نادمتهم قَرقَفَ الإسفَنْطِ صافيةً

مشمولةً سُبِيَتْ من خمرِ تَكْرِيتِ

من اللواتي خطبناهـا على عَجَلٍ

لما عجَجنا بربَّاتِ الحوانيتِ

في فيلق للدجا كاليمِّ ملتطمٍ

طامٍ يحارُ بهِ من هَولهِ النوتي

وهناك ما لا نهاية له من نظم ونثر تعاقبت فيـه « الفيلق » على التأنيث والتذكير بحيث لا يبقى شك في صحة عربيتها .

ومع هـذا ليس عندنا في حرف « فلق » ما يتصل بمعنى الجيش . ولدى ادنى روية نرى في الفيلق ملامح من

لفظ « phalange » واخواته من لغات المغرب . وهم يرجعون به الى اليونانيـة . ولفظهُ اليوناني اشد مشابهة بالفيلق خلوّهِ من النون المزيدة في الفرنسية ولان جيمه من حيز القاف .

ولا ريب ان العربية اخذته عن الروم فهو عندنا دخيل لان اول من رتب العسكر فيالق واطلق عليها هذا الاسم فيلبس المكدوني (المقدوني) ابو الاسكندر وذلك سنة ٣٦٠ قبل المسيح .وكان قد تجرد بفئة قليلة لتدويخ مكدونيا وما جاورها . وقيل ان ايمنداس تقدمه الى مثل هذا .

والمشهور عن ترتيب الفيلق عند اليونان ومن بعدهم ان تكون في الغالب ثمانية آلاف من الرجالة في ست عشرة كتيبة مرصوصة صفوفاً متوالية تدعم اواخرها أوَاليها . فاذا ادرك المتقدمـة وَهَن أو خَوَر تقدمت التي خلفها .

ولا ريب ان العرب عرفت رصفها هذا في جيوش الروم والفرس . قال الاعشى :

ونحن غداة ذي قارٍ اقمنا وقد شهدَ القبائلُ مُحلِبينا
وقد جاءُوا بها جأواءَ فِلقاً مُلمْلمةً كتائبُها طَحُونا

وفي قوله نصٌّ على ان الفيلق كتائب لأن الفيلق والفِلْق واحد

ويوم ذي قار عبَّأت العرب تعبئة الفرس. ولذا قال المثقّب العبدي :

صَحِبتَنا فيلقٌ ملمومةٌ تمنعُ الاعقابَ منهنَّ الأُخُرْ

والى مثل هذه التعبئة يشير ابو الطيب بقوله :

جاءَت دنانيرُكَ مختومةً عاجلةً ألفاً على ألفِ
اشبهها فعلُك في فَيلقٍ قلبتَهُ صفّاً على صَفِّ

وكذلك لو بحثنا في لفظ « العسكر » و «الاسطول» و « البرج » وغيرها فكثيراً ما ننتهي الى اصل اعجمي.

البصير — لا يسعنا الا القول : ياعجباً لهذه « الفليقة » . ان كانت الفيلق مع كل ما زحف به علينا صديقنا الاديب من جيوش الشواهد العربية غير عربية فهذا « شيء يفلق » . وعلام عناء المجمع اذن . وما السبيل الى ما يفوتنا من المصطلحات وحضرته مجهز عليها حتى بدل « المجمع » فجعله مجتمعا »

— ٢ —

اشكر للبصير النير ما تفضل به من التعقيب على كلمة لي سبقت حول اللفظ الدخيل والمجتمع اللغوي ومواضعاته وفقنا الله الى رأي منه جميل.

أما اني « مُجهِز على المصطلحات أرد العربي أعجمياً » فما أبعدها غاية. وكل ما اردته ان الاوضاع التي جاء بها من تقدَّمَنا قد يكون مصدرها أعجمياً ونطقوا بها فعرَّبوها. وكان كلامنا عن « الفياق » على سبيل المثل. وقد اقتبستها العرب فصيرتها عربية. ثم تصرفت فيها بوجوه المعاني فاطلقتها على الداهية لشدة بلائها. ثم على الامر العجب. ثم اتخذت منها لهذا المعنى اخوات « كالفِاق » وغيره. ثم قالوا « أفاقَ » اذا جاء بعجب. وفي الامر كان حاذقاً. ومنه « الشاعر المُفلِق » أي المجيد يأتي في شعره بالعجائب. وقالوا ايضاً « يوم مُفلِق » أي شديد لا يحتمل. ومن هذا قول العامة في مصر « شيء يفاق » فهو لفظ صحيح. قال حميد الارقط:

ظَلَّتْ بيومٍ ذي سَمومٍ « مفلقِ »
بين عُنَيزاتٍ وبين الخِرنِقِ
تلوذ منه بخباء مُازَقِ
بالارض لم يُكفأ ولم يُروَّقِ

فكل هذه المشتقات عربي لا غبار عليه . وان كان الاصل دخيلا . فالجَد من الموالي والبُنيَّات عربيات من مواليد الدار .

***

وكثير من الكلام اذا كشفت عنه وجدت هذه حاله ولا بأس ان اذكر هنا وماوقع لي أثناء الاشتغال «بالتنبيهات» عند حرف (ب ت ت) وقد ضرب علامتنا اليازجي خطأً على « البتيَّة » وكتب على الهامش « لم تقيد بانها عامية »

وعنَّ لصديقي الدكتور شمعون ان نتعقب هذا اللفظ وما يتصل به فوجدنا دوزي قد أثبته نقلا عن الادريسي . وذكر من معانيه هذا الوعاء المعروف . والمدّ العظيم وان العرب تطلقه على احدى الصور السماوية .

ولم يرد هذا اللفظ في شيء من اسماء الصور التي ذكرها القزويني والبتّاني وعبد الرحمن الصوفي وغيرهم . أما دوزي فقد نقله عن زيج الفونس العاشر وهو مرسوم بالحرف اللاتيني . فلا ريب ان دوزي وقع على « الباطية » فقرأها « البتية » . وبين هذه وتلك نسب في اللفظ والمعنى وعجمة الاصل .

أما « الباطية » فقد قال الجواليقي انها فارسية . واستعملتها العرب قديماً . وأورد عليها صاحب اللسان وغيره .

انما لِقْحتُنا (باطية) جَونة يتبعها (برزِينُها)
فاذا ما حاردت أو بكأت فُكَّ عن حاجب اخرى طينها

وهما مرويان في تركيب (ح د ر) من الجمهرة . لعدي ابن زيد .

وعند ذكر « البِرزِين » قال الجواليقي انه ايضاً فارسي معرب . وروى عليه هذين البيتين عن الاصمعي لرجل من البحرين لم يسمِّهِ . وجاءت فيهما « الخابية » مكان الباطية .

فضاع الشاهد . على انهم كثيراً ما ذكروا الباطية في شعرهم كقول جرير :

فحسبك أن تَنَوَّح بين دَنٍّ وباطيـةٍ وابريق رَذوم

وقول الحكمي :

اترُكِ التقصير في الشر بِ وخُذْها بنشاطِ
من عقارٍ كسنا البر قِ اضاءت في (البواطي)
مِ ، وعفوُ اللهِ مبذو لٌ غداً عند الصراط ،
خُلِقَ الغفرانُ إلاَّ لامرئٍ في الناس خاطي

وربما ظُنت «الباطية» افصح من «الخابية» لابتذال هذه في الكلام الدارج وترفع الاولى عنه . مع ان الاولى دخيل والثانية عربية من «خبأت الشيء» وتركت همزتها لكثرة الاستعمال .

وأما «البتية» فاذا ذكرناها ذكرنا تجار القفلات وما يستخدمونها له — وبينها وبين لفظ (Botte) مشابه — فقد تكون مما حملوه الينا من الغرب . وورودها في كلام

الادريسي دليل على انها عندنا من القرن السادس للهجرة ولعلها كانت من قبله لان العلامة القرداحي اثبت في معجمه السرياني كلا من « بطيتو » و « بتيتو » . وبينهما في اللفظ مثل ما بين الباطية والبتية . وفسر كليهما بالباطية لتحريه العربي الصحيح . واذا اشتركت العربية والسريانية في لفظ مولد فالارجح ان يكون في لغتنا العامية قديماً .

وأما (Botte) فان « ليتره » يرجع بها الى كثير من اللغات الغربية . وقال انهم صغروها فقالوا (Bouteille) اي « القنينة » . وهذه أيضاً في نظر علماء اللغة اعجمية . ولو انعمنا النظر لوجدناها هِجاناً غير صريحة النسب . وقد بدلت الايام معناها .

في اللسان : « القنينة وعاء يتخذ من خيزران أو قضبان قد فصل داخله بحواجز بين مواضع الآنية »

فاول ما يبدر الى الذهن اشتقاقها من لفظ (Canne) وهذا الاصل تشترك فيه اللاتينية واليونانية . وتوافقه

عندنا « القناة » لفظاً ومعنى ومجازاً ايضاً . فقد اشتق منه الغربيون (Canal) وقلنا نحن « قناة » الماء .

وقد جاءت « القنينة » في الشعر القديم كقول الحكمي :

في مجلس جعل السرورُ جَناحَهُ
سِتراً له من ناظر الحَدَثانِ
لا يطرق الاسماعَ في ارجائه
إلا ترنمُ ألسنِ العيدان
دوماً وتصفيقُ الجليس تطرباً
وبكاءُ (خابية) وضحك (قناني)

ولكن علماء العربية لا تسلم بان قنا الرماح اعجمية ولا بان القنينة عربية .

ومن اخوات (الباطية) عندنا في آنية الشراب ايضاً « البطة » غير ان التشابه محض اتفاق . وهي مثلها قديمة العهد . ففي الخبر عن رجاء بن حياة الفقيه مع الخليفة الأُموِي عمر بن عبد العزيز انه قال : « كنت مع عمر بن عبدالعزيز .

فضعف السراج . فقال يارجاء اما ترى.فقلت أقوم فأصلحه فقال : انه للؤم بالرجل أن يستخدم ضيفه . وقام فاخذ « البطة » فزاد في دهن السراج ثم رجع وقال :

« قمت وانا عمر بن عبد العزيز ورجعت وانا عمر ابن عبد العزيز . » اه

واورد الخفاجي على «البَطَّة» قول ابن تميم من اهل المئة الثالثة :

دعيتُ وكان اكلي نفذَ طير
ولم أشرب من الصهباء نقطه
وما يومي كأمس وذاك اني
اكلتُ إوزَّةً وشربتُ « بطه »

وقيل ان تسمية الوعاء بها لأنه يعمل على شكل (البطة) وفي نظر الخفاجي انها للوعاء عربية صحيحة . مع انها للطائر دخيل . قالوا عربيها « الاوزّ »

ولعل كلاًّ من « الاوز » و « البط » اعجمي معرب . لا سيما ان البط ليس مما يعيش في الصحاري ولا بقاء له على

جوار اهل البادية . وكيف يبقون على البط وهم ان أفلتت منهم جرادة ضربوا بها الامثال

وان دجن عندهم البط ففي القرى . لذا جعلته العرب رمزاً لسكنى الحضر ففي تركيب (زو) من المحكم . قال بعد تفسيره الوز بالبط :

تلقى الإِوَزِّينَ في أكناف دارتها
فوضى وبين يديها التينُ منثورُ

وعقب عليه ابن سيده بقوله : (أي ان هذه المرأة تحضرت فالاوز في دارتها تأكل التين . وانما جعل ذلك علامة التحضر لان التين انما يكون بالارياف وهناك تأكله الاوز ...) . اه

ثم نقل عن ابي علي الفارسي :

كأنَّ خَزًّا تحتَها وقزًّا وفرشاً محشوة اوزًّا

وفي تفسيره جعل الارجح انه (اراد محشوة ريش اوز) ومعلوم ان الخز والقز والفرش المحشوة ليست من ماعون الاخبية

وعند اليونان ما يقارب لفظ الوز والبط (Φάσσα) و (Φάττα) بمعنى اليمام . وكثيراً ما تقلب الفاء واواً او باءً والسين زاياً .

— ٣ —

رأينا فيما مر نموذجاً من اسماء متصلة بآنية الشراب . عدت عربية لان العرب نطقت بها . وكان من حقها السلامة من العجمة لان آنية الشراب مما لا غنى للانسان عنه . فلا تخلو منها بقعة . والعربي والاعجمي في طلب الماء سواء . ومع هذا ترى في اسمائها كثرة الدخيل . لانها لا تأتي إلا على ايدي الصناع . فاول من يعرفها منهم اهل القرى . وقلما تخلو القرى من الغرباء . ولذا تجد من علماء اللغة من لا يعتدُّ بكلام القرويين

ولو نظرنا الى ما اختص بتجارة أو صناعة كاسماء المكاييل والاوزان والنقود لالفينا العجمة فيه اشد تفشياً كالرطل من (Λιτρα) والقنطار من (Centenarius) والنُمِّي من (numisma) وقس عليها الاقة والدينار والدرهم والقيراط

والقسطاس وهلم جرا . وربما انخدعنا بشهرة بعضها وبما فيه من مشابه باللفظ العربي فتمحلنا له وجهاً وكان غير سديد . (كالمد) مثلا . ففي اللسان (مدد ٤٠٧) : قيل ان اصل المد مقدَّر بان يمد الرجل يديه فيملأ كفيه طعاماً) . اه

ولو قلنا انهم من (مد اليد) اخذوا (أمدَّهُ بكذا) اي ناوله (واستمدَّ) اي اخذ . وانهم بعد هذا اطلقوا لفظ المد على الوعاء يتناولون به الاشياء . ثم جعلوا ذلك الوعاء مكيالا . لكان قولاً مقبولاً . ولا سيما ان لدينا في هذا الحرف غير (لفظ المد) ما يفيد التقدير كما في حرفَي كال ووزن . فهم يقولون (مدد كذا ومداده) اي قدر ما يوازيه . كما يقولون (عدده وعداده) و (زِنَتهُ وَوِزانهُ)

ولكن عند الغربيين من اسماء المكاييل ما يقارب هذا اللفظ muid بالفرنسوية وكان معروفاً عند قدماء الروم بلفظ modius واصل معناه الشكل والقالب . واختلفت سعته عند كل أمة . ولليونان مكيال يسمونه medimnos كان معروفاً عندهم في المئة السابعة قبل الميلاد لورودهِ في

شرائع سولون ثاني اساطين الحكمة . وهو مذكور ايضاً في كلام هيردوتس من اهل المئة الخامسة قبل الميلاد .

فما صدق على هذا المكيال من تقادم العهد عندالغربيين مع بعد العرب عن التجارة ، يترجح معه تصحيف المد عن احدى تلك اللغات

اجل ان قدم العهد ليس حجة للغرب فقد ذكر هيردوتس (الاردب) ايضاً . ونسبه الى اهل مادي .

واي حاجة بالعرب في بداوتهم الى التجارة ومكاييلها وقد غنوا عنها بشن الغارات . واما الصناعة فقد نزل مرة فيهم حداد فكان نزوله حكاية يتناقلونها حتى قالوا في امثالهم (اذا سمعت بسرى القين فانه مصبح)

ثم ما عساهم ان يعيرونا من اسماء الاثاث في عصور جاهليتهم وهم قوم رحل غطاؤهم السماء ووطاؤهم العراء وهم بينهما كما قال الحكمي :

قُصارَى عيشهم اكل لضبٍ وشربٌ من حفيرٍ في شِنانِ

وأطلالهم كما قال امرؤ القيس

ترى بَعَرَ الآرامِ في عَرَصاتِها
وقِيعانِها كأنهُ حبُّ فلفلِ

وابنيتهم الخباء والعماد والاطناب والاوتاد والاثافي . وماعونهم ما يسمونه (بالمحِلاَّت) وهي القربة والفأس والقداحة والدلو والشفرة والقدر . سميت (المحلات) لان من كانت له فقد استغنى . وله ان يحل حيث شاء من الارض

وانما انبسط لسانهم بكلام الحضر بعد انبساط ملكهم على الشام والعراق وخراسان ومصر وسائر البلاد العامرة بالصناعات

فانهمك البعض عندنا بالشوارد من الفاظ الجاهليين وبالحوشي من كلام الحداة ورعاة الشآء للتعبير عن اغراضنا اليوم ضرب من الغرور

وبديهي ان التماسها في ما كتب لعهد العباسيين ومن والاهم احرى واجدى . ولا سيما اسفار التاريخ والسير فأنه يتخللها من وصف الاحوال البيتية والمعاملات والصناعات

والابنية وسياسة الدولة وقيادة الجيوش ما قد تخلو منه دواوين اللغة او تقصّر في تعريفه فلا يتيسر للواقف عليه في المعجمات وحدها ان يستعمله على وجهه

ثم ان القوم لذلك العهد نقلوا علوم السريان واليونان، وكتبوا في كل فن فاجادوا واستنبطوا من الاوضاع والمصطلحات ما لا يجدر بعلماء المجمع اغفاله بعد ان تداولته الاقلام وانست به الايام

...

والذي يبدو من مجلة المجمع ان علماءنا الاجلاء رأوا التجاوز عن هذا كله تفادياً من عناء البحث عما قاله ثابت بن قرة مثلا واسحاق بن حنين ولم يقله ابو بكر الرازي والحارث ابن كلدة

وكانهم ارادوا ان نحتال للامر بان نتخذ من الصيغ العربية ما يسد الحاجة كاسم الفاعل والمفعول والمكان والآلة نجعلها قوالب معدّة للطوارىء

فاذا عرض لنا شيء فاتنا اسمه عمدنا الى القالب الملائم

والى اللفظ القريب من صفته ومعناه فزججنا هذا بذاك فلم يلبث ان يتخلق به ويكتسي لونه وشكله ويخرج من تحت الضغط عربياً مبيناً كاحسن ما يكون

وان كان مما سلف سبكه لمعنى آخر اخرجناه عن معناه الى الذي اردناه

لا ريب ان المجمع لو كان مكلفاً ان يستنزل لغة جديدة من عالم الوحي لكان صنيعه هذا حسناً . وكان في سبيله على هدى . واما ان كان القصد ارشاد الناس الى ما سبق استعماله واقره السلف . ثم النظر بعده الى ما نحن مفتقرون اليه مما فاتهم . وجب علينا بادىء بدء ان نتصفح اسفار القوم لنستخرج منها لكل فن ما استد وضعه وخف على السمع وقعه . وهو ما نتوصل اليه بادمان البحث لا بالتكهن والاستلهام . والا كان صنيعنا كمن يغفل عن الركاز تحت قدميه ويكد الذهن في طلب الحجر الفلسفي

— ٤ —

ففي ترجمة «Siphon» مثلا تناولت المجلة لفظ «المثعب» والبسته اياه

واحتجت بان السيفون « انبوب ملتوٍ على شكل حرف S « ؟ » تتصل احدى نهايتيه « ؟ » بفتحة الحوض السفلي وانما اختير هـذا الاسم لان مادته تدل على الالتواء»

اما ان « مادة ثعب » « تدل على الالتواء » فانه وَهَمَ. ولا ريب ان منشأه « الثعبان » وقد مثل للذهن في تحوّيهِ فانخدع به المجمع كما انخدعت به من قبل حوآء ام البشر

اما حرف « ثعب » فانه يفيـد الانفجار . قالوا ثعب الماء والدم يثعبه فجره . وثعب هو وانثعب انفجر

ولعل الثعبان سمي كذلك تشبيها بجبال الماء المرسلة من المثاعب . وليس ان الثعبان اصل المادة

ويدل على ذلك اتصال معنى الانفجار بالالفاظ التي تقارب « ثعب » في مخارج حروفها • كالشعب والشخب

والثقب والبثق « فالشعب » الصدع . و « الشخب » اللبن المندفع من الضرع اذا احتلب وصوت اللبن عند الحلب . و « الثقب » الخرق النافذ و «البثق» كسرك السد او مسناة النهر « لينبعث » ماؤه

فالمشعب المنفذ الذي ينبعث منه ماء الحوض وغيره

ثم ان حكم السوائل في مرورها بالانبوب المعقوف من سطح أعلى الى سطح أدنى . من السنن الطبيعية التي عرفها فلاسفة اليونان . وقد بنى عليها ابرن من اهل المئة الثانية للميلاد كثيراً من الالعاب المعروفة باسمه الى عصرنا هذا . فهى لم تفت ادباء العرب الذين نقلوا تلك العلوم في زمن المأمون ومن جاء بعدهم . وكتبهم بحور زاخرة بالاصطلاحات التي يبحث عنها المجمع

ففي « الآثار الباقية » لابي الريحان البيروني من اهل المئة الرابعة للهجرة « ص ٢٦٢ » كلام عن «العيون الفوّارة» و « صعود المياه الى فوق » وقد علل ذلك التعليل العلمي بانه من « اختزان المياه في تجاويف أعلى » من تلك العيون .

وخالف « من يعير علم الغيب ما يجهله من علم الطبيعيّات »
وفيه ان المـاء في تلك التجاويف قد يمر بالاودية ثم يصعد
« بعد ان يجد النزول الى اسفل من مصعده ويمنع منه ما
يبادله المـكان اذا اخلاه فلا يعينه على فعله الطبيعي الا
مشاركة القسري الصناعي وهو الهواء »

الى ان قال : « ومثاله الآلة التي تسمى سارقة الماء فانك
اذا ملأتها ماء ووضعت كلا طرفيها في اناءين سطح ما فيهما
من الماء سطح واحد فان الذي فيها من الماء يقف ولو دهراً
لا ينصب الى احد الاناءين لانه ليس باولى من الآخر ولا
يمكن ان يتكافأ الانصباب الى الاناءين كليهما لان الآلة
تخلو حينئذ والخلاء اما غير موجود كما عليه بعض الفلاسفة
واما موجود ممسك للاجسام كما عليه بعضهم فاذا كان
ممتنع الوجود لم يوجد واذا كان ممسكا للاجسام امسك الماء
ولم يتركه يسيل الا بعد ان يبادله جسم آخر . ثم اذا صير
أحد طرفيها في موضع اسفل قليلا سال اليـه ما في الاناء
وذلك انه لما سفل صار أقرب الى المركز فسال اليه ثم اتصل

السيلان بتجاذب اجزاء الماء واتصالها الى ان يفنى ما في الاناء المجذوب ماؤه أو يوازي سطح ماء المسيل اليه سطح الماء المجذوب فتؤول المسألة الى الحالة الاولى)

فقد اوضح البيروني احكام هذا الانبوب بما لا مزيد عليه ودلنا على تسميته لعهدهم « بسارقة الماء » . وهو ترجمة حرفية للفظ clepsydre « من « كلفت» السرقة» و« ايدور الماء » وهذا اللفظ الاخير أطلقه الغربيون على «الطرجهارة » أو الساعة المائية لما هو معلوم من امر هذه الساعة وان قوامها الانبوب المذكور

وكان الناس من عهد البيروني يسمون هذا الانبوب ايضاً السَحَّارة وهو الاسم المعروف به الى يومنا هذا . وفي لسان العرب ما يدل على انهم اطلقوا السحارة على حيل اخرى تماثلها ففي حرف « سحر ١٢/٢٢ » : « السحارة شيء يلعب به الصبيان اذا مد من جانب خرج على لون واذا مد من جانب آخر خرج على لون مخالف وكل ما اشبه ذلك سحارة » اه

وفي مفاتيح العلوم للخوارزمي في كلامه عن « حيل حركات الماء والاواني العجيبة » : « السحارة هي التي تسميها العامة سارقة الماء اعني الانبوبة المعطوفة المعمولة من زجاج او غيره فيوضع احد رأسيها في الماء او غيره من الرطوبات المائية ويمص الرأس الآخر الى ان يصل الماء اليه وينصب منه فلا يزال يسيل الى ان ينكشف رأسه الذي في الماء : ولا يمكن ذلك الا ان يكون الرأس الذي يمص اسفل من سطح الماء . فاما اذا كان أعلى منه فانه لا ينصب منه » اه

وفي كتاب الخوارزمي هذا الوف من الاوضاع العلمية التي يبحث المجمع اللغوي عنها . وكان امامنا وعلامتنا الطيب الذكر الشيخ ابراهيم اليازجي قد اشار بالنظر فيه وفي أمثاله التماساً لتلك الاوضاع . وأورد منها جانباً ترغيباً فيها. وكلامه في هذا المعنى. وفي المجاز والاشتقاق والتعريب واللغة والعصر حري بان يتخذه المجمع دستوراً . والتقاط الفوائد من المظان التي أرشد اليها وهو فيها اهدى من القطا أولى مما تشاغلت المجلة بنقله من كلمات لا يجهلها الاميون

فضلا عن المتـأدبين . كالحشوة والدهليز والدلو والسطل والمائدة والملعقة والبيضة والمملحة والملقط والزبدية والطاس والهاون والمدقة والمكتب والدواة والمداد والحبر . وغيرها فأمثال هذه الاسماء ليس في ايرادها على سمع الكاتب أقل جدوى . لانه لا يكون كاتباً وهو لايعرف الحبر والمداد

بلى . أنه قد يجد بعض الفائدة لو ألحقوا بها شيئاً من التحقيقات كالتنبيه على الفرق بين لفظ وآخر مما لايظفر به احياناً في بابه

فقد جعلت المجلة للحبر والمداد معنى واحداً وفسرتهما بالنقس

وبين الحبر والمداد فرق نوضحه فيما يلي . وكلاهما عربي .

واما النقس فانه اعجمي . وأول ما يبدو لك منه هـذا التشابه بلفظ (encre) واكثر شبهاً به (ink) . قال ليتره انه من اليوناني (en couslos) أي المحرق . لمـا يدخل في تركيبه من السخام

وكان اليونان قديماً يتخذون منه طلاء للخشب وهو ما يسميه الغربيون اليوم « انكوستيك »

واما الحبر ففي صبح الاعشى (٢ - ٤٦٥) انهم كانوا يتخذونه من العفص والصمغ العربي والزاج وربما زادوه اشياء غيرها كماء الآس والدخان والصبر والعسل

واما المداد فمن سخام النفط ومن العفص والعسل والملح والصمغ العربي وهذا المداد كان يؤثره الوزير ابو علي ابن مقلة المشهور بجمال خطه

فالحبر كالذي يتخذه اليوم التجار في كتابة العقود واثبات الحساب في دفاترهم لأن ما يدخله من الزاج يمتنع معه محو الكتابة . ولذلك قال الصولي في ادب الكتّاب: «بالحبر تكتب المصاحف والسجلات وما يراد بقاؤه » . اه

واما المداد فهو ما كنا نسميه من عهد قريب « بالحبر الاستنبولي » يرغب فيه معلمو حسن الخط لحلكة لونه وسهولة محوه بالرضاب ولعل كتاب الرسائل كانوا يختارونه

لعنايتهم بتزويق الخط وتنميقه. فاذا شط القلم لطعوا الحرف هربا من الرجوع بالكتاب عوداً على بدء.

والى هذه العادة يشير ابو نواس بقوله في حسناء وقد اكثرت من المحو في رسالتها فشبهها بكتاب الديوان

وناقلوا الكاس ظبياً ما يرتعي بالبوادي
لكن بديوان يحي بفيه لطخ مداد

وقوله:

اكثري اللحن في الكتاب وَمحيّـهِ بِريقِ اللسان لا بالبنانِ
انني كلما مررت بسطرٍ فيه محوٌ لطعتُهُ بلساني

الاسكندرية في مارس سنة ١٩٣٧